RESEARCH ARTICLE

The Poetics of Religious Intertextuality in the Poetry of the Companion Abu Ahmad ibn Jahsh: His Ba'iyya Poem as a Model

Muthanna Rahim Farhan *

Ministry of Education/General Directorate of Education, Muthanna, Iraq

ABSTRACT

This study, entitled "The Poetics of Religious Intertextuality in the Poetry of the Companion Abu Ahmed ibn Jahsh, His Poem in Ba'iyyah as a Model," aims to uncover intertextuality and its aesthetic effectiveness in the intertextuality of poetic texts. It is an aesthetic mechanism that seeks to explore the interaction and overlap between literary texts. Poetry is a means of arousing internal emotions in the recipient—the reader—and the listener. Furthermore, religious texts are a rich source of literary inspiration, to which writers turn, drawing from their abundant sources of connotations, visions, ideas, beautiful imagery, and structures. This study also seeks to monitor the forms of religious intertextuality from which the poet drew in composing the verses of his poem and to control their specificities, while highlighting the artistic and aesthetic value the poet achieved in deepening and enriching his poetic experience and informing the reader with the dialogue and interweaving of texts.

KEYWORDS: **poetics, religious intertextuality, Abu Ahmed ibn Jahsh**.

مقالة بحثية

شعرية التناص الديني في شعر الصحابي أبي أحمد بن جحش قصيدته البائية إنموذجاً

مثنى رحيم فرحان *

وزارة التربية ، مديرية العامة لتربية المثنى ، العراق

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الموسومة ب(شعرية التناص الديني في شعر الصحابي أبي أحمد بن جحش قصيدته البائية إنموذجاً) الكشف عن التناص وفاعليته الجمالية في انتاص النص الشعري , بوصفه آلية جمالية تسعى للإستكناه التفاعل والتداخل بين النصوص الأدبية , فالشعرية وسيلة لإثارة الانفعالات الداخلية في نفس المتلقي – القارئ – السامع, فضلا عن أن النَّص الديني يعد مصدراً ثراً من مصادر الإلهام الأدبي, يفيء إليه الأدباء ينهلون من معينه الثر دلالات ورؤى وأفكار, وجمال تصوير, وتراكيب, كما تسعى هذه الدراسة إلى رصد أشكال التناص الديني التي نهل منها الشاعر في تكوين أبيات قصيدته وضبط خصوصياتها مع إبراز القيمة الفنية والجمالية التي حققها الشاعر في تعميق تجربته الشعرية, وإثرائها وتلوين القارئ بحوارية النصوص وتشابكها.

الكلمات المفتاحية : الشعرية ، التناص الديني ، أبو أحمد بن جحش .

Received 07-08- 2025; revised 17-08 -2025; accepted 22-09- 2025. Available online 25 -10- 2025
* Corresponding author. Farhan
E-mail addresses: lajaeshae@gmail.com (**M. R. Farhan**).
https://doi.org/xx.xxxxx/2572-5440.1053
2572-5440/© 2025 The Author(s). Published by Al-Muthanna University. This is an open-access article under the CC BY-NC-SA license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/).

المقدمة

شعرية التناص

مدخل

الشعرية مصطلح كثير التشعب وطيد الصلة بسائر علوم اللغة, له جذور عربية تراثية قديمة وآفاق غربية جديدة, يعالج الاستقدام الجمالي للغة, فمنذ عهد بعيد وإلى الآن ما تزال المناهج الأدبية في سعيها الدؤوب للتعرف على جماليات الخطاب الأدبي وسبر أغواره, ومدى قدرته على إثارة المشاعر الجمالية والانفعالات العاطفية لدى المتلقي , إذ تعد من المفاهيم الحديثة التي نالت اهتمام الدارسين؛ لما تتمتع به من القدرة العالية في الارتقاء بالنص الأدبي وتميزه عما سواه, كما ينماز بها أديب عن آخر, فإذ أخرج النص الأدبي محملاً بالشعرية فإنَّه وصل إلى مرتبة عالية في التأثير بالقارئ, ومذ اعتنى البحث الحديث في مجالِ الدراسة الأدبية والغوص في سياق النصِّ، أضحت فكرة الشعرية هي البحث عن الجوانب الجمالية في النص الأدبي, فقد مرَّت بمراحل وتطورات كثيرة, لذلك كان معيار الشعرية مختلفاً مكانياً وزمانياً, فهي لا تعوّل على ما هو خارج النص؛ بل يكون هذا التعويل داخلي نصي, فهي قراءة داخلية وليست خارجية، للعمل الأدبي في تمايزه واندماجه، فكل نصّ يتكون من طبقات عدَّة، ومستويات متفاعلة، مهمتها فرز هذه الطبقات، وتحديد العلاقات القائمة بين المستويات المتداخلة في النصّ الواحد، عن طريق نصوص متعددة، فغايتها كشف مواطن الإبداع في النص الأدبي., إذ إنها تتحقق من مجموعة من العناصر والأساليب التي تعل النص الأبي متميزاً منها ومنها: اللغة الشعرية والصور البلاغية وايقاع والخيال...إلخ, ومن جوانب اشتغالاتها التناص الذي يعد آلية فنية إبداعية وجمالية في استكناه النصوص الأدبية وتداخلها وتفاعلها فيما بينها على اختلاف مصادرها ومشاربها, فالنَّص جديد لا يولد من فراغ فهو أشبه بوليد جديد يتغذى على نصوص سابقة له؛ لأنَّ اللغة عندما تبنى على يد أديب ينماز بقدرة إبداعية تنصهر من معناها اللغوي إلى معناها التشكيلي الجمالي الذي يكون للقارئ/ المتلقي الدور الأبرز في الكشف عن هذا التشكيل, ومما لا شك فيه أن التناص يستمد ((قيمته النظرية وفعاليته الإجرائية من كونه يقف راهناً في مجال الشعرية الحديثة في نقطة تقاطع/ تلاقي التحليل البنيوي للنصوص والأعمال الأدبية بصفة عامة, بوصفها نظاماً مغلقاً يحل على نفسه مع نظام الإحالة أو المرجع, بوصفه مؤشراً على ما هو خارج نصي))[17، ص91].

إنَّ التناص لا يتم دائماً على المستويات السطحية , وإنما قد يكون على المستويات العميقة, فالنص القديم عندما ينزاح ويستشف أثره يصبح أدق وأعمق, فتذوب ملامح النص القديم وتصبح جزءا من النص الجديد.

وفي درستنا هذه سنحاول إبراز شعرية التناص في شعر الصحابي أبي أحمد بن جحش المتمثلة قصيدته البائية إنموذجاً التي حملت لنا أبيات شعرية غنية بمحتواها ومضمونها الفكري والأدبي لشاعر إنماز بثقافته الأدبية العالية وقدرته على تطويع الكلمات نحو ما يصبوا إليه؛ بوصفها الصفوة التي دلت على نضج نتاجه الأدبي المعبر عن أحوال مجتمعه وتاريخه وفكره وثقافته, فجاءت لوحاته الشعرية الإبداعية راسمة لملامح شعرية النص عن طريق استحضار النصوص المتداخلة التي تهدف في النهاية إلى تكوين قيمة ابداعية شعرية. وسنقف على شعرية التناص الديني المتمثلة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف التي ترسبت في قصيدته سواء كانت بقصد أم بغير قصد..

التعريف بأبي احمد بن جحش الأسدي :

اسمه عبد وكنيته أشهر من اسمه, أبو أحمد بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبره بن مره بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة [15، ص 95], وقد كان أعمى وشاعر(م. ن: الصفحة نفسها), من قبيلة جحش وهي أحدى القبائل الأسدية, هاجر عبدالله بن جحش وأخوه عبيد الله ومعه أمرأته أم حبيبه بنت أبي سفيان إلى الحبشة, ثم هاجر إلى المدينة المنورة بعد رجوعه إلى مكة المكرمة من الحبشة حيث احتمل بأهله وأخوته, وأمره الرسول (ص) على سريّة نخلة, وآخى بينه وبين عاصم بن ثابت بن قيس في السنة الثالثة من الهجرة اشترك في معركة أحد وحارب محاربة الأبطال، ثم استشهد على يد أبي الحكم بن الأخنس الثقفي في معركة أحد سنة (3 هـ / 642 م)[16، 3/ص525] .

أُغلقت دار بني جحش في مكة المكرمة بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة, وكان مسكن جحش ابن رئاب في الدار التي تقع بالمعلاة عند ردم عمر ابن الخطاب ويقال لها دار أبان بن عثمان وظلت في أيدي ولد جحش وهم بنو عمة الرسول (ص) أميمه بنت عبدالمطلب إلى أن أسلموا وهاجروا, فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبدالمطلب وابو جهل بن هشام وهم صاعدون إلى أعلى مكة المكرمة فنظر عتبة الى الدار تخفق أبوابها ليس بها احد ولما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال[13، 2/ ص11-112]:

وَكلُّ دَارٍوإنْ طَالَتْ سَلَامَتَهَا يَومَاً سَتدركِهَا النكباءُ والحوبُ

وقال عنها عتبه: ((أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها فقال ابو جهل :ما تبكي عليهم من ثم قال للعباس : هذا عمل ابن أخيك فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا [9، 2/ص 440-441].

نظم أبو أحمد بن جحش شعراً في هجرته منها قصيدته البائية المخصصة للدراسة وتقع في خمسة عشر بيتاً:

لما رأتني أم أحمد غادياً بذمة من أخشى بغيب وأرهبُ
تقول : فإما كنت لا بد فاعلاً فيمم بنا البلدان ولتنأ يثربُ
فقلْتُ لها : بل يثرب اليوم وجهنا وما يشإ الرحمن فالعبد يركبُ
إلى الله وجهي والرسول ومن يقمْ إلى اللهِ يوماً وجهه لا يخيبُ
فكم قد تركنا من حميمٍ مناصحٍ وناصحة تبكي بدمعٍ وتندبُ
ترى أنَّ وتراً نأينا عن بلادِنا ونحن نرى أنَّ الرغائبَ نطلبُ
دعوت بني غنم لحقنِ دمائِهم وللحقِّ لما لاحَ للناس ملحبُ

أجابوا بحمدِ الله لما دعاهم إلى الحقّ داعٍ والنجاح فأوعبُوا
وكنَّا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاحِ وأجلبوا
كفوجين : أما منهما فموفق على الحقّ مهدي ، وفوج معذبُ
طغوا وتمنَّوا كذبة وأزلَّهم عن الحقّ إبليس فخابوا وخيَّبوا
ورعنا إلى قولِ النبي محمد فطاب ولاة الحقّ منا وطيبُوا
نمتْ بأرحامٍ إليهم قريبة ولا قرب بالأرحامِ إذ لا نقربُ
فأي ابن أخت بعدنا يأمننكم و أية صهر بعد صهري ترقب
ستعلم يوماً أينا إذ تزايلوا وزيّل أمر الناسِ للحقّ أصوبُ[13: 113- 114]

أولاً: التناص مع القرآن الكريم:

يعدّ النَّص القرآني مصدراً ثراً من مصادر الإلهام الأدبي, يفيء إليه الأدباء وينهلون من معينه الفياض دلالات ورؤى وأفكار, وجمال التصوير, وتراكيب إبداعية, وصياغات فنية, وقد تنوع استدعاء الأُدباء للنصوص القرآنية في نصوصهم الأدبية بحسب حاجتهم إليها في تعضيد أفكارهم , فضلاً عن سياق النص والظروف المحيطة به وقت انتاجية النص, وبوحها عن حالتهم النفسية. ((فإذا كان الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي الذي استمدّ من الأدباء الأوربيون شخصياتهم ونماذجهم الدينية فإنَّ عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم, واستمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة))[1، ص 75].

ومن خلال استقراء أبيات قصيدة الشاعر شكل القرآن الكريم مصدراً من مصادر البلاغة عندهم, ومنها قوله: لَمَّا رَأتني أ مُّ أحمَدَ غَادِيًا بِذِمَّةِ مَن أخشَى بِغَيبٍ وَأَرهَبُ[13: 113]

وما يتلمسه القارئ تفاعل كلمات هذا البيت الشعري ببعضها كأنّها نسيجٌ واحدٌ وهذا يحسب لمقدرة الشاعر الإبداعية, فضلاً عن الامتصاص للآية القرآنية: قال تعالى:{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }[النحل, 41], وأيضاً نستشف فيه روحاً من قوله تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[النساء: 95-95], التناص هنا جاء موافقاً لروح النص القرآني, فالآيات القرآنية أشارت إلى تعاهد المشركين على أن يفتوا المسلمين عن دينهم فأصابهم من ذلك جهداً شديداً, فضلاً عن تفضيل المجاهدون في سبيل الله على القاعدون, إذ شكل قوة فاعلة استثارت ذهن المتلقي في الكشف عن الطاقة الدلالية والجمالية التي ظمّنها هذا البيت الشعري, فالنص الجديد يزداد جمالاً وقيمةً من جمال وقيمة النص الأول, فالقرآن الكريم هو معجزٌ بجماله وببلاغته الذي فاق كلّ نص. وفي شاهد آخر من قصيدته إذ يقول[13، 2/ص 113] :

فإما كنت لا بد فاعلاً فيممْ بنا البلدان ولتنأ يثرب

يشع النص القرآني من بين ثنايا البيت الشعري حاملاً معه موقف الشاعر وزوجته التي تحثه بالتوجه إلى يثرب؛ لأنَّ فيها الأمن والطمأنينة, والسلامة من أذى المشركين, فهو يعكس فكرة الهجرة كوسيلة للبحث عن الأمان والحرية من الاضطهاد, إذ اتكأ على الدلالات البلاغية والنفسية التي حملتها الآية القرآنية المتناصة والمكثفة, فهو يحيلنا إلى نسيم قوله تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً }[النساء: 100], فهذه الآية أشارت إلى الهجرة في سبيل الله, وتؤكد على وعد الله للمهاجرين بأنهم سيجدون في الأرض مكاناً للراحة والسعة, فالهجرة هنا ليست مجرد انتقال من مكان إلى آخر؛ بل هي فعل إيماني يعكس ثقة المؤمن بوعد الله ورحمته, فالذين يتركون أوطانهم وأموالهم وأهلهم في سبيل الله سيعوضهم الله خيراً في الدنيا والآخرة, وهذا الوعد الإلهي يعطي للمهاجرين قوة معنوية ويجعلهم يتحملون مشاق الطريق وصعوبة الغربة؛ لأنهم يعلمون أنَّ الله معهم في كل خطوة, ومما لاشك فيه أنَّ النهل من القرآن يخدم الغرض الذي حمله هذا البيت وإيصاله للمتلقي, فالتناص ((آلية تكثيفية (إيجازية) يتم من خلالها استحضار نصوص دينية معروفة عن طريق المتلقي الذي قرأ جزءاً منها ويتم استذكارها لأنها معروفة وليس هناك أدنى حاجة لذكرها كاملة في النص))[7، ص104], فاجترار الآيات القرآنية بقداستها وصهرها في تركيب فني بديع يضفي على نص النص الشعري رونقاً شعرياً يثري محموله الفكري.

وثمة تناص قرآنيٌّ نتلمسه في قوله[13، ص 113]:

فقلْتُ لها : بل يثرب اليوم وجهنا وما يشإ الرحمن فالعبد يركبُ

القارئ لهذا البيت الشعري يجد أثر النص القرآني في تفجير طاقات اللغة وتكثيف الدلالات, ونقل النص الأدبي من الشاعر إلى المتلقي/ القارئ برؤى إبداعية شعرية انطلاقاً من قيمة النصوص القرآنية المذابة بين ثنايا النص كونها تحمل أدبية تشع بشعرية المعنى واللفظ, وتنفح بطاقة الإيحاء وجمالية التصوير لتجلية النص وإثرائه, ومنحه فاعلية وقيمة في نفوس المتلقين, فقد اتكأ عن نصوص قرآنية تشربت في تركيب فني محكم, وجمالية فائقة حققت شعريتها, وأثرت محمولها الفكري, فبعد أنْ ضمّن قبساً من سورة التكوير قال تعالى: { وَما تَشاؤُنَ إِلا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}. [لتكوير: 29] , واقتبس نوراً أيضاً من سورة توبة قال تعالى: { قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَاهُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}التوبة: 51] , ونلمح فيه أيضاً روحاً لمعنى الآية القرآنية من سورة يس , قال تعالى: { إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [يس: 82], إذ تتلاحق المعاني القرآنية البهيّة في هذا البيت مسبوكةً سبكاً محكماً, لا يفصل بينها فاصل بعيد, وأباحت بازدحام وتكثيف للفضاء التناصي عبر نصوص منصهرة مبثوثة ومكثفة أثرت النص عمقاً دلالياً وجمالياً ودقة في التعبير, فالألفاظ المستدعاة من قبل الشاعر الذي أحسن تقنينها وتطويعها, أثارت وجدان المتلقي ومشاعره, فالشعرية تصوغ بهائها

الخاص من هذه الألفاظ ((فاستيحاء النص القرآني عملية إبداعية متشابكة العناصر, تحتاج إلى ثقافة واسعة, وفكر متوقد, ودربة ومران, وإنعام نظر من طرفي التلقي (المرسِل \ والمرسَل إليه) لتوظيف شبكة العلاقات اللفظية والمعنوية والتركيبية والإيقاعية وذوبانها معاً لخلق نص جديد ينشد الفعل في الآخر, ويكون حافزاً للعقل , وأنساً للنفس))[3، ص124], فالنص الجديد يعلو جمالاً وإبداعاً عن طريق النصوص القرآنية التي تشربت فيه واستلهم منها روحه وفق ما يستدعيه السياق.

وثمة إشارات قرآنية تكون مذابة في النص الجديد ومعبرة عن رؤية الشاعر الخاصة, وهذا ما يلمح في قوله: **إلى الله وجهي والرسول ومن يقم إلى الله يوما وجهه لا يخيب**[13، ص114]

يتضح القبس القرآني هنا جلياً يقع عليه القارئ من القراءة الأولى في آيات عدّة, يقول الله - تبارك وتعالى:((بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ))[البقرة: 112], وقد باح البيت الشعري أيضاً بنفحة قرآنية في قوله تعالى : ((وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًاۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)) النساء: 125), وثمة نفحة قرآنية أخرى أيضاً يمك أن تأتي بنفس المعنى قال تعالى: ((فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ))[الذاريات: 50].

نلحظ أنَّ الشاعر في هذا البيت استلهم بشكل واضح من الآيات القرآنية فكرة أنّ الالتجاء إلى الله هو الخيار الأمثل, ويجسدها في قالب شعري مؤثر, فهو لا يقتصر على نقل المفهوم الديني فحسب؛ بل يضيف إليه بعداً إنسانياً وروحياً, إذ يربط توجهه الشخصي بالمبادئ الدينية السامية, هذا الربط يعطي النص عمقاً روحياً ويجعل منه رسالة قوية تهدف إلى ترسيخ قيم الإخلاص لله والثقة في قلوب المؤمنين لذلك نجد توظيف المعاني القرآنية في النص الأدبي الوسائل الفنية التي تساعد الأديب في إيصال فكرته إلى المتلقي دون تكلّف, فالنص الجديد يكتسب ((قوة ومصداقية نابعة من قوة ومصداقية النص القرآني من جهة, ويرتفع بقضاياه المطروحة إلى مصاف القضايا القرآنية من جهة ثانية, فتكسب قدسيتها منه, سيما إذا كانت القضايا ذات هم عام وبعد قومي واجتماعي, ولها صلة بالواقع المعاش))[6، ص 115].

وفي شاهد آخر إذ يقول[13، ص114]:

فكم قد تركنا من حميم مناصح وناصحة تبكي بدمع وتندب

القارئ لهذا البيت الشعري يجده يبوح بالنفحات القرآنية بالتلميح أو الإشارة لها بمعنى أو بألفاظ مختصرة, فنلتمس فيه روح الآية القرآنية قال تعالى : ((فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي))[آل عمران: 195], وأيضاً فيه إشارة إلى قول الله تعالى : {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[الأنفال: 75], فالشاعر يشير إلى مفارقة الأحبة والأقارب في سبيل تلبية الدعوة وسلامة الأذى من المشركين , هذا الفراق ينتابه الحزن والبكاء , لكن القرآن الكريم أعلى شأن المهاجرين في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة من أجر عظيم جزاء إيمانهم وصبرهم, فالشاعر يثري نصه لتقوية المعنى, وهذا الأسلوب يعكس عمق ثقافته الإسلامية, وقدرته على الربط بين تجربته الشخصية والمفاهيم الدنية, فهو لا يكتفي بالتعبير عن مشاعره وأفكاره. فتشرب النص الأول مع النص الثاني لا يمكن عده أخذا فقط, وإنَّما تبادل بين الأخذ والعطاء أي بين ما يودعه الشاعر وبين ما يمسكه المتلقي بتلابيب خفية يُرجعها إلى مصادرها الأم وفيه بانت مقدرته الأدبية؛ بل إنَّه ((نمط في الإنشاء غريب, وحلاوة الألفاظ ليس الضرب لها بضريب, وطلاة عبارة ما تريب, أنها تحلى الأجياد والترتيب لم ترَ فيها من البلاغة ترفيها, ولم تجد فيها لفظة تحويها؛ إلا وهي تنطق بالبلاغة أو توحيها, ولم تُنظرْ معانيها إلا وهي تطوي المحاسن وتطوّيها))[5، ص4].

وفي موضع آخر نلحظ إشارات قرآنية إلى حقن الدماء والتوجه نحو الحق عندما يصبح واضحاً للناس كما جاء في قوله [13، ص114]:

دعوت بني غنم لحقنِ دمائهم وللحقّ لمَّا لاح للناس ملحبُ

إنَّ كثيراً من الألفاظ القرآنية تحتفظ بشعاع من الأثر القرآني، لا تفارقها سيماه، ولا يعزب عنها أثره حتى بعد دخولها في تركيب وسياق جديدين؛ فغالباً ما نجد لفظاً قرآنياً واحداً يرسم لنا صورة كاملة, فالشاعر يستلهم بشكل واضح فكرة دعوته إلى الإصلاح بين أبناء قبيلته ويرفض كل أشكال العنف والقتال, ويجسدها في قالب شعري فيه لمح لروح الآيتين المباركتين الأولى قال تعالى: ((وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))[الحجرات: 9], والثانية في قوله عزّ وجل: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))[ق: 41], نستشف منهما التأكيد على أهمية الإصلاح ومنع سفك الدماء بين المؤمنين, إذ تعد حماية النفس البشرية وحفظ السلام من القيم العليا في الإسلام, والعمل الجاد على تحقيق المصالحة وإعادة بناء العلاقات الإنسانية على أساس العدل والرحمة, فالشاعر اتخذ الشعر كوسيلة فعالة لنشر الوعي وتعزيز القيم العليا مستخدماً كلماته كجسر للتواصل بين الناس, وحاثّاً إياهم على التخلي عن الخلافات وتبنّي المصالحة, فهذا الموقف يجعل من الشعر أداة قوية في خدمة المجتمع , وقادرة على التأثير في وجدان الناس وتوجيههم نحو الخير والصلاح, ولاشك أنَّ هذا التوظيف للنصوص القرآنية تماهى مع فكرة الشاعر التي حملها نصه الشعري في دعوته لأبناء قبيلته, فضلاً عن إثرائه للنص الجديد ثراءً لغوياً وبراعةً شعريةً.

ونلحظ في قوله[13، ص 114]:

أجابوا بحمدِ الله لما دعاهم إلى الحقّ داعٍ والنجاح فأوعبوا

تناصاً شفيفاً مع قول الله عزَّ وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ))[الأنفال: 24], فالشاعر استلهم فكرة الآية القرآنية التي تؤكد على وجوب استجابة المؤمنين لدعوة الله ورسوله التي تعد من أهم علامات الإيمان الصادق, فالآية لا تدعو إلى السماع ؛ بل إلى الانقياد الفعلي والتنفيذ العملي لأوامر الله, فبث قبساً من القرآن في الشعر يعطي عمقاً روحياً, ويجعل منه رسالة قوية تهدف إلى ترسيخ قيم الطاعة والالتزام في قلوب المؤمنين, فكلّ نصٍّ جديد يوجد فيه صدى لنصوص سابقة كيف إذا كانت روح الآيات القرآنية متشربة فيه تزيده ثراءً لغوياً وتمنحه درجة عالية من الأدبية.

ثانيا: التناص مع الحديث النبوي الشريف:

يمثل الحديث النبوي الشريف بألفاظه ومعانيه مرجعاً ثقافياً, ومصدراً مهماً من مصادر السحر والدلالة والجمال والإبهار, فنفثاته داخل النص الأدبي تشعل العقل والوجدان معاً, فالحديث النبوي المتناص يثير المشاعر والأحاسيس بأسلوبه التعبيري الجميل, وهو أحد روافد الشعرية نهل منه الأُدباء شعراء أم كتّاب على اختلاف مشاربهم وتفاوت أزمانهم.

لقد جاءت بعض الأبيات الشعرية التي قالها أبو أحمد بن جحش في هجرته , وحديثه عن ترك قومه وداره محملة بمعاني الحديث النبوي الشريف فاستنارت منه ألقاً وثراء, إذ يجد القارئ في موضع عدة حديثاً مذاباً أو مجتراً , أو يقف على اللفظ والمعنى معاً. ففي قوله[13، ص113] :

وكنَّا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا

نلحظ في هذا البيت الشعري تلميحاً واضحاً إلى قول النبي محمد (ص) :((خيرُ الأصحابِ عند اللهِ خيرُهم لصاحبِه))[8، ص1944], وفيه أيضاً تلميحاً لقول آخر لنبي : ((إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، والْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحامِلِ المِسْكِ، ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))[14، ص 2628].

يتجلى في هذا البيت التداخل النصي الحديثي بين ثناياه, أفاد معاناة الشاعر من أصحابه الذين بقوا على كفرهم وما عملوا من أعمال غير صالحة فرقت المؤمنين وأودت بهم إلى ترك ديارهم من أجل سلامة أنفسهم وعوائلهم والبحث عن أماكن تكون أكثر طمأنينة, فشعرية التناص تراءت فيه عن طريق معاني الكلمات التي زادته فنية وجمالية فـ((الكلمة ليست شيئا مادياً, بل وسيطا متحرّكاً دائماً من التفاعل الحواري , ولا يميل أبدا نحو وعي واحد , أو صوت واحد, فحياة الكلمة موجودة في انتقالها من فم لآخر ومن سياق إلى آخر, ومن وحدة اجتماعية إلى أخرى, ومن جيل إلى آخر بهذه العملية لا تنسى الكلمة طريقها الخاص , ولا يمكن تحرر نفسها تماما من قوة تلك السياقات المحددة التي دخلت فيها,... فأنَّ تلك الكلمة ليست محايدة في اللغة, وليست كلمة خالية من تطلعات الآخرين وتقييماتهم...))[18: ، ص 45], ومما يمكن الاشارة إليه أنَّ النصوص الإنسانية نادراً ما تخلو من النصوص المقدسة أو مدلولاتها.

وفي موضع آخر يتجلى التناص مع الحديث النبوي الشريف في قول الشاعر الذي أشار فيه إلى المسلمين بأنهم أصحاب هداية وأن جزاءهم الجنة والمشركين مأواهم جنهم معذبين فيها, إذ يقول[13، ص 113]:

كفوجين : أما منهما فموفق على الحقِّ مهدي ، وفوج معذبُ

يستشف المتلقي روح الحديث النبوي في هذا البيت الشعري الذي يتحدث عن الأمّة الباغية التي لا تقلع عن الأذى ولم تصن حرمة الجيرة. فقد جاء في حديث النبي (ص): ((إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ))[12: 3067], وأيضاً في إشارة شفيفة إلى قول النبي(ص): ((الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَةِ جَارِهِ يَنْتَظِرُ بِهَا وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدًا))[8، 3/ص 643]. فقد تماهى الحديثين الشريفين مع قول الشاعر في تكوين مركزية الغرض الذي أُسس من أجله, فالتفاعل بين النصين أحدث قدرة كافية في استكناه القراءة المنتجة من قبل القارئ في إعادة انتاجية النص؛ لأنه يعدّل في تقنيات إنتاجية النص الأدبي, فضلاً عمّا يمتلكه نص الحديث من البوح ببعض الدلالات بأسلوب مهر شعري يلفت توقعات المتلقي ويجعله في حالة ترقب وتوقع [4، ص 251].

وفي قوله الذي حدد فيه وجهته إلى يثرب [13، ص 113]:

رسالة لأبي لما رأتني أم أحمد غاديا بذمة من أخشى بغيب وأرهب
تقول : فإما كنت لا بد فاعلا فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب

والقارئ الفذ يجد اشعاع الحديث النبوي الشريف ينير جينات الخطاب ويحقق ما يصبو إليه فقد قال رسول الله (ص): ((قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب, فمن أراد الخروج فليخرج إليها))[8، 10/ ص292], فقد أفاد التناص مع الحديث الشريف إشارات دينية إيحائية, وومضات دلالية تخدم قول الشاعر, وتحض على مضمونه, وتديج ألفاظه وتراكيبه, إذ جعل النص الجديد بنية جمالية تمتص شعريتها الموحية من الماضي المقدس لترتكز في الحاضر بأسلوب متين معبرٍ عن قضايا إنسانية, ومواقف فكمرية ودينية, فالنصوص المتناصة ليست تجمعات مجانية، وليست تداعيات سلطوية من مخزون الذاكرة، وإنَّما لها أثرها وتأثيرها في توجهات القراءة، فهي تفرز في تعدد القراءات ما يتجاوز القراءة الواحدة [4، ص 255.].

فالتناص مع الحديث النبوي الشريف خلق نوعاً من الانسجام بين الأبيات الشعرية , وهذا ما نستشفه في قول الشاعر[2، 2/ص 113]:

طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا

يشير الشاعر في قوله إلى المشركين من أبناء عمومته على وجه الخصوص الذين تخلفوا عن الإسلام وتصديق دعوة النبي محمد(ص), وأخذوا يلفقون الكذب في سبيل إبعاد الناس عن الإيمان به, إذ أزلهم الشيطان عن الصراط المستقيم لتكون نهايتهم الخيبة ومأواهم جهنم ولهم خزي في الدنيا, فمن خلال الأوصاف يمكن لنا أن نستحضر قول النبي(ص): ((وإياكم والكذب, فإن الكذب يهدي إلى الفجور, وإنّ الفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذّابا))[14، 5/ ص336].

يتجلى لنا عن طريق هذا التداخل أهمية الحديث الشريف في تعضيد

وتقوية فكرة الشاعر؛ لأنه جاء مناسباً مع السياق ومضمون الحدث, وتجسيد الموقف الشعوري, فالأديب المبدع يرفد نصوصه – وإنْ لم يشعرْ- بتناصات ناجعة تحمل من الانفعالات والصور والرؤى والأفكار التي تعمد إلى ترسيخ ذكرته, إذ يغدو النص الحديثي المذاب نصاً مرجعياً يُضيء النص الوليد, ويُفعّل خيالاته الشعرية, بعد أنْ يوسعَ آفاقه وفضاءات فهمه وتأويله. وفي موضع آخر يقول [13، 2/ص 114]:

ورعنا إلى قولِ النبي محمد فطاب ولاة الحقّ منا وطيبوا

ستعلم يوما أينا إذ تز ايلوا وزيل أمر الناس للحقِّ أصوبُ

يسوق الشاعر في قوله أموراً جسيمةً لعامة الناس, ويحثهم على اتباع قول النبي(ص) في التأكيد على اتباع طريق الحق والهداية, وهذا ما يتواشج مع الدلالة اللغوية لفعل(زُيل), فينتج عن هذا الموقف الخسارة والحرمان, وبهذا المعنى يمكن لنا أن نلحظ تداخلاً نصيّاً للحديث النبوي الشريف وصف فيه النبي محمد (ص) فقال:((الحق ثقيل فمن قصر عنه سحر, ومن جاوزه ظلم, ومن انتهى إليه اكتفى))[2، ص127], فهو يشير إليهم في بداية الدعوة الإسلامية فكانوا ثلّة قليلة تحملوا الأذى بشتى أنواعه, واضطروا إلى ترك ديارهم من أجل تلبية نداء الدعوة الإسلامية, وهذا ما أكده الإمام علي (ع) في قوله: ((من تعدى الحق ضاع مذهبه, ومن صارع الحق صرعه, لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل))[11، ص 212] .

فالتناص يمكن له أن يوثق حلقة التواصل بين النص الجديد والنصوص التراثية؛ ويمنحها شعريتها؛ لأنَّ ((النص يقوم كرابطة ثقافية, ينبثق من كل النصوص, ويتضمن ما لا يحصى من النصوص, والعلاقة بينه وبين القارئ هي علاقة وجود؛ لأنَّ تفسير القارئ للنص هو ما يمنح النص خاصيته الفنية))[10، ص57], فالإشارة الدينية تغني النصوص الي تشرَّبت معها, وتكسبها كثافة التعبير, وتكون معادلاً موضوعياً في الأغلب مع مقصدية الشاعر.

يتضح لنا أن شعرية التناص هي أحد روافد الشعرية الأساسية التي منحت النصوص جمالاً وقيمة من جمال وقيمة النصوص المتناصة معها , فجاءت أبيات القصيدة لأبي أحمد بن جحش متناصة مع الآيات القرآنية التي شكلت الاستدعاء الأكثر مقارنة مع الحديث النبوي الشريف, وشكلت سمة بارزة فيها, كما دلَّت على عمق المرجعية الثقافية الدينية للشعراء الإسلاميين .

الخاتمة:

1- الشعرية مفهوم يستند إلى أدبية النص أي استنباط الخصائص المجردة في النص الأدبي, وهذه الخصائص هي التي أضفت عليه الأدبية, وتبحث في مقوماته الذاتية والبنيوية، وشكلت مرتكزاً أساسياً في النصوص الأبية, معبرة عن انفعالات ومشاعر خلجت نفوس الأدباء.

2- تميّزت القصيدة البائية متن الدراسة بجمال الأداء، ورقة العبارة، وعذوبة الجرس، وحلاوة الإيقاع, فضلاً عمّا تشعه من إيحاءات متنوعة لها وقعها الفني والجمالي.

3- كان للتناص دفقة واضحة في زيادة البنى التركيبية التي عملت على إثراء النصوص الشعرية, إذ جاءت محملة بشذرات دينية من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة, فكانت أشبه بلوحة فسيفسائية مختلفة المصادر والمشارب أعطت للمتلقي مساحة واسعة في استشفاف هذه المشارب..

4- عد هذا الصحابي مع أخوته من السابقين الأولين الى الإسلام وله صحبه . -يرتبط نسبه بالرسول – (ص) وهو ابن عمته والرسول (ص) زوج اخته زينب بنت جحش.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

1. استعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر, علي عشري, دار الفكر العربي, القاهرة – مصر, ط1, 1997م.
2. بهجة المجالس وأنس المجالس, ابن عبد البر, تح: محمد مرسي, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان, (د. ط), 1979م.
3. الترسل في الشعر العربي القديم (بين وظيفة الإخبار وجمالية التصوير) , د. علي عبد الإمام الأسدي, دار العالمية للنشر والتوزيع, العراق, ط1, 2020م.
4. التفاعل النصي التناصية, النظرية والمنهج, نهلة فيصل أحمد, الهيئة العامة للثقافة, القاهرة, ط1, 2010م.
5. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون, خليل بن أبيك الصفدي, تح: محمد أبو الفضل إبراهيم(د.ت), (ط. ت).
6. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر, عصام واصل, دار غيداء للنشر والتوزيع, عمان الأردن, ط1, 2011م.
7. التناص في شعر الرواد, أحمد ناهم, دار الأفاق العربية , القاهرة – مصر, ط1, 2007م.
8. الجامع الصحيح (سنن الترميذي), لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره(ت297ه), تح: إبراهيم عطوع عوض, مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده, القاهرة, ط1, 2003م.
9. حياة الصحابة, الكان دهلوي, الشيخ محمد يوسف, (ت 1384ه), تح: بشار عواد معروف, مؤسسة الرسالة, بيروت – لبنان, ط1, 1999م.
10. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية , د. عبد الله الغذامي, الهيأة المصرية العامة, ط4, 1989م.
11. روائع نهج البلاغة, جورج جرداق, مركز الغدير للدراسات, ط2, 1997م.
12. سنن أبي داود , أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥ ه) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد [ت ١٣٩٢ ه] الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت(د. ت).
13. السيرة النبوية لأبن هشام, تح: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتب العربي, بيروت – لبنان, ط3, 1990م.

14. صحيح البخاري, الأمام أبي عبد الله محمد بن أسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(256ه), مركز البحوث وتقنية لمعلومات, دار التأصيل – مصر, ط1, 1012م.

15. الطبقات الكبرى, محمد بن عيد بن منع الزهري(230ه) تح: علي محمد عمر, القاهرة – مصر, (د. ت) 2001م.

16. معجم الصحابة, عبد العزيز أبو قاسم(ت317ه), تح: محمد الأمين, دار البيان للطباعة والنشر, ط1, 2000م.

17. مفهوم التناص بين الأصل والامتداد, بشير القمري(بحث), مجلة الفكر العربي المعاصر, ع(61), المجلد(60), لبنان,1989م.

https://search.mandumah.com/Record/432340

نظرية التناص , جراهام الآن, ترجمة: باسل المسالمة, دار التكوين للنشر والترجمة , دمشق- سوريا, ط1, 2011م.